العربية . هنا مصدر الخطأ الذي يقع فيه النقد حين لا يدرس الشعر الفلسطيني بوصفه جزءا عضويا من الحركة الشعرية العربية . فكيف يمكن مثلا فهم الاتجاه الكلاسيكي الممزوج بالسخرية في شعر طوقان ، اذا لم نربطه بالتأثر الواضح بشوقي وباتجاهه الشعري الكلاسيكي . وكيف يمكننا فهم دخول القصيدة الحديثة ، قصيدة وحدة الموضوع والتفعيلة الى الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة دون حدوث معارك ادبية كبيرة كالتي شهدها المشرق العربي في الخمسينات ، اذا لم تكن هذه القصيدة انعكاسا لمفهوم رسخ اقدامه في الخارج . وكيف يمكن دراسة بنية القصيدة عند محمود درويش دون ربطها بمراحل مختلفة لتطور القصيدة العربية المعاصرة : تباني ، السياب ، البياتي ، ادونيس . فقصيدة درويش هي محاولة لاختصار تاريخ الشعر العربي المعاصر في لحظة شعرية غنية واحدة . هذا الارتباط العميق الذي يجعل من الشعر الفلسطيني شعرا في زمن الشعر العربي المعاصر ، لا يلغي خصوصيته ، هذه الخصوصية التي تنبع من المكان ، ومن اشكال صدامية فرضت على شعب بشكل خاص — الاقتلاع من الارض — مما اعطى لهذا الزمن الشعري اطارا نضاليا خاصا . فأصبح الشعر الفلسطيني هو المدخل الى توحيد جميع العناصر الفنية في بؤرة نضالية تعيد تكوين دور القصيدة .

هذا النمط من الدراسة ليس غائبا عن كتاب الكيالي بشكل كلي . لكنه لا يأخذ حجمه الفعلي ، نتيجة ضيق المساحة التي يفرضها اطار الدراسة النقدية في هذا المجال . فالنكبة عام ٤٨ ، ليست حدثا فلسطينيا فقط . فلقد كانت العامل المباشر في حدوث الانقلاب البرجوازي في حياتنا العربية . ولعبت دورا بالغ الاثر في جميع تيارات التحديث الثقافية ، ومن ضمنها تيار ما اطلق عليه « الشعر الحديث » . لذلك تصبح دراسة الحركة الشعرية الفلسطينية بشكل مستقل ، عملا ناقصا ، لاننا حين نهمل العلاقة العضوية بالشعر العربي ، ونختصرها الى مجرد التفاتات عابرة ، فان النقد يسقط في شرك الوهم الايديولوجي الذي يركز على الطابع الفلسطيني الخاص في كل شيء .

القصيدة : ان المنهج النقدي الذي حكم دراسة الكيالي ، قام عمليا بالغاء القصيدة كمفهوم . اذ أنه فرض تفتيت القصيدة الى أبيات تخدم دراستها من خارجها اي دراسة اغراضها . واذا كان هذا المنهج ممكنا في دراسة القصيدة العربية القديمة التي تستند الى وحدة البيت الشعري (رغم ان هذه القصيدة تحمل بنية خاصة بها ومليئة بالدلالات) . أما في دراسة القصائد الحديثة والمعاصرة التي تستند الى وحدة القصيدة ، فان هذا المنهج ، يقودنا الى تدمير مفهوم القصيدة ، ويصبح النقد الادبي ، مجموعة تنويعات على مضامين جرى خلعها من سياقها . ان الانجاز الاساسي الذي قدمته الحركة الحديثة هو القصيدة كمفهوم . أي القصيدة كوحدة عضوية تتناوب فيها الدلالات ، وتقيم علاقات داخلية ، تحول الشعر من مجرد لحظات متفرقة الى حالة متكاملة . عند دراسة القصيدة ، يجري ربط الشكل بالمضمون في وحدة متدرجة ، لا تدمجهما بشكل اعتباطي ، لكنها تكشف دلالاتهما وعلاقاتهما ببعضهما . وهذا ما نفتقده في هذا الكتاب . فلقد قام المؤلف بالغاء القصيدة ليؤكد على **دور الشعر** . ومفهوم دور الشعر هو مفهوم مبسط رغم انه في الحالة الفلسطينية بالغ الوضوح ، اذ انه قد يقود الدراسة الادبية الى التركيز على الشعر من عناصره الخارجية . أي على المدلول مع حذف الدال . وهذا يقود إلى منزلق آخر . اذ ان العوامل التي تتحكم بالمدلول ليست هي نفسها عوامل الدال . فبنية القصيدة قد تقدم مدلولات مختلفة في شروط اجتماعية مختلفة ، لكن عناصرها الداخلية تبقى واحدة . يقودنا هذا المفهوم الى ضرورة مناقشة اللغة الشعرية بوصفها العامل الاساسي الذي يحكم بنية القصيدة .

يندرج المجهود الكبير الذي بذله د. كيالي ، تحت باب آخر ، انه اضافة جدية الى ما سنطلق عليه اسم النقد الوثائقي ، الذي يقوم انطلاقا من موضوعة معينة ، بتوثيق الشعر على اساسها . وهو بهذا المعنى ، كتاب هام يضيف الى المكتبة الفلسطينية معلومات جديدة وشبه ملموسة عن تاريخها الشعري . وهو بذلك يسمح بالانتقال من التوثيق الى النقد الفني . هذا الانتقال هو الذي سيقوم بعملية الدراسة المعقدة للاضافات التي قدمها الصوت الفلسطيني الى شعرنا العربي .

ان النقد الجديد ، النقد الداخلي ، هو المؤهل